

المطلب الأول : مكانة المرأة في المجتمعات الأولى. ويمكننا تقسيم هذا المطلب الى قسمين رئيسيين هما : القسم الأول : مرحلة الأمومية : وفي إطار هذه المرحلة تُعتبر السلطة حقاً طبيعياً للمرأة، حيث يُنظر إلى الأنثى على أنها الأصل ، وبهذا تصبح قضية المرأة جزءاً لا يتجزأ عن قضية المجتمع كله، فإذا ما رجعنا إلى أقدم ما نعرف من عصور التاريخ، صورة عن المرأة في المجتمعات القديمة في كتابه "حق الأم" ، الذي يشير فيه إلى (المكانة التي كانت تحتها المرأة، وما كانت تتمتع به من قوة سياسية وقانونية، فمنذ أن صنع الإنسان أدواته الحجرية الأولى، وبنى مساكنه كانت المرأة إلى جانبه. ففي حقول القمح الأولى، وقفَت المرأة إلى جانبه، يداً بيدً بعد أن لهثت معه وراء اللقمة النادرة) [شومان، ويشير بعضهم إلى أن مكانة المرأة كانت أقوى من مكانة الرجل في المجتمعات البدائية عند نشأة الحضارة، وذلك لأن (المرأة البدائية الأولى قلماً كانت تعنى بالبحث عن يكون والد طفلها، وهي لا تنتهي إلى زوج بل إلى أخيها أو أخيها وإلى القبيلة؛ لأنها دائماً تعيش مع هؤلاء وهؤلاء هم كل الأقارب الذكور الذين يعرفهم الطفل على أنهم ذوو قرابة، وتشير الدراسات إلى أن البشرية مرت ومنذ العصور التاريخية القديمة تعيش كجماعات صغيرة في كهوف ومخاوير جبلية ضمن العلاقات المشاعية البدائية والاسترفاقة وعبر مراحل زمنية طويلة من عدم الاستقرار النسبي ، وبهذا تبوأت المرأة مكانة خاصة بسبب (إنجابها الأطفال في الوقت الذي كان الرجال يجوبون الغابات والوديان والجبال بحثاً عن المواد الغذائية من الفواكه وثمار الأشجار الطيرية والجافة عبراً إلى مرحلة الصيد والرعي ، ثم جاءت مرحلة الزراعة البدائية والتي كانت نتيجة مبادرة المرأة وابتكرها لها على نحوٍ منفرد وباء الانتقال من موقع إلى آخر وحسب خصوبة الأرض ووفرة مصادر المياه وظهور القرية الزراعية البدائية) [فريدريك، مما أدى إلى زيادة مكانة المرأة ضمن التجمعات السكنية الجديدة لأسباب عده منها (إنجاب الأطفال والعناية بهم وكانت المرأة تتحرف وظيفتين أساسيتين - وظيفة إنتاج الحياة ويقصد بها البشر) [السيد جاسم، ووظيفة الزراعة أي بداء استثمار الأرض كإنتاج اقتصادي مما أدى إلى ارتفاع مكانتها في هذه المرحلة إلى مستوى اكتساب النفوذ (السلطة المركزية لأول مرة، في المجتمعات البدائية والتي كانت تسمى مرحلة (الأمومية)، وتشكيل تفاصيل الأدوار على اختلافاتها. تُعتبر السلطة حقاً طبيعياً للمرأة، حيث يُنظر إلى الأنثى على أنها الأصل. ورغم أن المرأة تُعتبر من الناحية الفسيولوجية أضعف من الرجل منذ البداية، إلا أنها كانت تتمتع بمكانة رفيعة في الأسرة والمجتمع والسلطة خلال مراحل حضارية قديمة من تاريخ البشرية. تمكنت من التغلب على القوة الفسيولوجية للرجل؛ إذ تُشبه المرأة في هذه النظرية الطبيعة والأرض، وبعد (طور الأمومة) في انتساب الأولاد إليها قبل انتسابهم إلى الرجل بفترة طويلة، أهلتها هذه الحقبة كامتياز لاستحقاق زمني ليتمتد نفوذها الإداري إلى خارج المسكن إلى جانب تمعنها بسلطة ربة البيت مما اكسبها الخبرة الواسعة في مجالات الحياة اليومية نسبياً إذ كان الرجل ولازال متفرغاً لجني القوت اليومي كما جاء سابقاً! .القسم الثاني : مرحلة تأليه الأنثى : إن تأليه المرأة في العصور الأولى من التاريخ، يعود من جانب - إلى ما كانت تتمتع به بعض النساء من صفات شخصية نادرة، في وقت لم تكن ثمة حاجة ملحة إلى قوة الرجال لعدم وجود المشاحنات والحروب والصراعات على الحكم والثروة التي استوجبتها الحضارات الأولى. والسبب الرئيسي في جعل (الآلهة الأنثى) : يكمن في أثر اكتشاف الزراعة بشكل عميق على النظام الروحي والديني للإنسان البدائي، نظراً لما كانت تتمتع به من قدرات كان يعتبرها حارقة، ظهرت الإلهات الأم في مناطق النيلويت في توافر واضح وبصمات كل مرحلة، وهي الحكمة التي كانت سر نجاح "زيوس" ، بأنها تمتلك من الحكمة أكثر مما تمتلكه جميع الآلهة مجتمعة، تعود إلى آلة الحكمة "صوفيا". وتشير الدراسات الفنية إلى هذا الجانب من خلال تصوير المرأة "صوفيا" جالسةً، وتأج مكون من ثلاثة رؤوس أنوثية يزين رأسها، بينما يحيط بها الفنانون والأدباء وال فلاسفة يستلهمون منها الوحي) [هزيودوس ، كما كان للمرأة دور بارز في السيطرة الدينية على عالم مليء بالأسرار والخفايا، بالإضافة إلى كونها آلة الأم، وكانت الألوان السومرية تطور الآلة الأنثى (شمس) آلة العدالة والمساواة في (سومر) بلاد الرافدين، وهي تمر في مرحلة حول العالم لترى أعمال الناس فوق، وكانت تنادي بكل ما هو أخلاقي، وتدعوه إلى قيم الحق والعدل والحرية. وعليه فإن العصور البدائية تُعتبر فترات ذهبية للمرأة بشكل عام وللزوجة بشكل خاص، بدأ الرجل بفرض سيطرته على المجتمع، مما أدى إلى سلب المرأة حقوقها في انتساب الأولاد إليها، أدت إلى افتراق الرجل عن المرأة في العمل والنظرة والحياة، بحيث لم يعد يصح القول أن تاريخهما تاريخ واحد !.